البنية الحِجاجِيَّة للأجوبة المُسْكِتة
في النثر العربي القديم

Argumentation Structure of Witty Rhetorical
Repartee in Old Arabic Prose

علي كاظم علي المدني

جامعة القادسية-جمهورية العراق
ali.kadhem@qu.edu.iq
Ali Kadhim, University of al- Qadisiyyah
Republic of Iraq

تاريخ الإرسال: 30/ 05/ 2022-تاريخ القبول:2022/06/04- تاريخ النشر: 2022/06/30

المُلَخَّصُ:

الجَوابُ المُسْكِتُ فَنٌّ نَثْرِيٌّ عربيٌّ ظَهَرَ الاهتمامُ بهِ في القَرْنِ التاسعِ الميلادي، فعُرِّف به وأُلِّفَتْ فيهِ كُتُبٌ مُسْتَقِلَّةٌ، وكانَ لِهذِهِ العِنايةِ أَثَرُها في بَقاءِ الكثيرِ من نَمَاذِجِهِ؛ لأنَّهُ فَنٌّ قَوْلِيٌّ شِفاهيٌّ يُمَثِّلُ أُنْمُوْذَجًا فريدًا من نَوْعِهِ في النثر الفني العربي، وتَكْمُنُ فَرَادَتُهُ في أنَّه جَمَعَ أَكْثَرَ سِمَاتِ البلاغة ومعاييرِ الجَمالِ الفنّيّ التي حُدِّدَتْ وقُنِّنَتْ في إبَّانَ ظُهُوْرِهِ وازدهارِهِ؛ فَهُوَ مُوْجَزٌ إيجازًا شديدًا، وبليغٌ، ومُؤَثِّرٌ إلى درجةٍ كبيرةٍ، وأَدَاؤُهُ لِوَظِيْفَتِهِ التَّأْثِيرِيَّة الحِجَاجيَّة يُؤَكِّدُ كَفَاءَتَهُ التَّداوليةَ العاليةَ. وقد كانَ للبيئةِ التي أُنْتِجَ في إطارِها أثرٌ كبيرٌ في اتّصافِهِ بهذهِ المميزات التي وقفْنا عندَها، ولعلَّ أهمَّها أنَّ السائلَ يرغبُ في وضْعِ المسؤول في موقفٍ مُحْرِجٍ والسخرية منه، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ المُجِيْبَ سَيَنْتَهِجُ الأسلوبَ نفسَهُ وبدرجةٍ من السخرية عاليةٍ جدًّا دفاعًا عن نفسه أولًا، ودَحْضًا لأطروحةِ السائلِ ثانيًا.

حاولْنا في هذا البحث أنْ نقفَ عند الطبيعةِ الحِجاجِيَّة لهذا الفن التي تختلف عن أنماطِ الحِجاجِ في الفنونِ القوليةِ التي تعتمدُ على المحاورةِ المبنيةِ على السؤال والجوابِ، وتَبَيَّنَ لنا أنَّهُ نَمَطٌ خاصٌّ لا يَسْمَحُ فيهِ المُجِيْبُ باستمرارِ سِلْسِلَةِ الحِوار أو تَعَدُّدِ الحُجَجِ، بل يحاولُ جاهدًا أنْ يُغْلِقَ الحِوارَ، ويُسْكِتُ السائلَ الذي تُحَرِّكُهُ الرغبةُ في وَضْعِ المسؤولِ في مَوْقِفٍ مُحْرِجٍ أو لإضحاكِ الآخرينَ منه؛ فَهُوَ رَدُّ فِعْلِ المُجِيْبِ على ذلك، ومِنْ ثَمَّ يَسْعَى المُجِيْبُ إلى الغايةِ نفسِها أيْ إحراج السائل والسخرية منه. وقد اتَّخَذَ لذلك وسائلَ بلاغيةً وتداوليةً متنوعةً وقفنا عندها في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية : الحجاج ؛ الأجوبة المُسْكِتة ؛ النثر العربي القديم ؛ التداولية ؛ التواصل اللساني

Abstract :

The witty rhetorical repartee is an Arabic prose art that garnered attention during the 9thcentury; numerous specialized books were written about this art. Hence, many examples of this were preserved, being a primarily oral art. This research has tried to highlight the argumentative nature of this art because the argumentation, in this respect, differs from other argumentation types that depend heavily on questions and answers. The researcher has found out that this special argumentative style preempts the add reseed from retorting so as to extend or enrich the argument; instead, the addressee tries hard to end that argument. The addresser is primarily driven by an urge to put the addressee in an embarrassing situation or make fun of him/her. The situation, therefore, relates to the add ressee's reaction, for he/she tries in his/ her turn- to embarrass the addressee or make fun of him/ her. This style has various rhetorical and pragmatic moves that are highlighted in this paper.

Keywords: argumentation ; witty rhetorical repartee ; old Arabic prose ; pragmatics ; linguistic communication.

مُقَدّمةٌ:

لَمْ يَرِدْ من الأجوبةِ المُسْكِتَةِ في المؤلفاتِ العربية التي عُنيتْ بالموضوع ما يعودُ إلى العَصْرِ الجاهليّ لكي يمكنَ الرُّكونُ إليه في معرفةِ جذوره وبناه الأساسية التي ظهر أولَ ظهورِهِ فيها. وما ورد منه في غيرها نَزْرٌ قليلٌ، غير أنَّه يُوْحي بوجودِهِ بصورةٍ أولية بسيطة، لا يمكن من خلالها وضع الأطر العامة التي تنتظمه من حيث البنى والموضوعات، وهي مع ذلك تُعَدُّ الجذرَ القديمَ لهذا الفن الذي استوى على سُوْقِهِ بَعْدَ مَجِيْءِ الإسلام؛ ومن ثم كان لزامًا على مَنْ يريد تأصيلَ هذا الفن أنْ يَقْنَعَ بما وَرَدَ منه في العصر الإسلاميّ والأمويّ ثُمَّ العبَّاسيّ وهو طَوْرُ نُمُوّهِ والعناية به تأصيلًا وجَمْعًا هَيَّأَ لدراستِهِ والتأليفِ فيه.

1. الأجوبة المسكتة-أنواعها وبناها:

إن الأجوبة المُسْكِتة في المصادر العربية القديمة، جاءت على شكل مواقفَ حيَّةٍ بين الأدباءِ وأصحابِ السلطان، أو أجوبةٍ للشعراء، أو للمجانين، أو للأعراب، أو أجوبةٍ من صناعةِ العقل وُضِعَتْ على ألسنة الحيوانات. وقد امتزج الجوابُ المُسْكِتُ في كثير من الأحيان بالهزل والمجون والفُحْش؛ إمعانًا من المُجِيْبِ في إفحام خصمِهِ.

وقد نما الجوابُ المُسْكِتُ في إطار المناظراتِ المذهبيةِ والعَقَدِيَّةِ التي نَشِطَتْ منذ العصر الأموي؛ إذ كان للصراع القائم بين الأحزاب السياسية دورٌ في إثراءِ ظاهرة المُغَالَطَةِ، وقد تَجَلَّتْ ملامحُها وألوانُها في كثيرٍ من الأجناس الأدبية البارزة في تلك الحقب[1]. فصارَ مَنْهَجُ المناظرةِ والجِدالِ مَنْهَجًا عامًّا. ولمْ يكنِ الجوابُ المُسْكِت بعيدًا عن هذه البيئة بل كان نَتاجًا لها، ثم اتسعت الدائرة في ذلك، ولم يَبْقَ الجَوابُ المُسْكِتُ منحصرًا في الجانب العقدي بل تَغَلْغَلَ في أغلبِ مجالاتِ الثقافة، ولم يَقْتَصِرْ على الجدِّ، بل داخَلَهُ الهَزْلُ والمُجُوْنُ في كثيرٍ من الأحيان وخصوصًا مع نهايات القرن الثاني الهجري وبدايات القرن الثالث؛ إذ كادَ يَقْتَصِرُ على أداء وظيفة الإضحاك أو السخرية وهي الوظيفة الساندة لوظيفته الأولى وهي الإفحام. ولا يكون ذلك إلا مِمَّنْ كانَ حَلِيْمًا في تعامُلِهِ مع السؤال؛ قال الزَّمَخْشَرِيّ: " أَحْضَرُ النَّاسِ جَوابًا مَنْ لَمْ يَغْضَبْ "[2]. والجوابُ المُسْكِتُ هو الجوابُ الذي يكون قاطعًا للسائل، فلا يُبادِرُ بعد سماعِهِ إلى مُعاودَةِ السؤال؛ لأنَّ الجوابَ يكون مُفْحِمًا لَهُ.

وإنَّ من شرائط الجوابِ المُسْكِتِ حُضُورَ طَرَفَيْنِ: سائلٍ ومسؤولٍ، تختلف دوافعُ كُلٍّ منهما، غير أن الجامع بينهما أنَّ كُلًّا منهما يريد إسكاتَ الطرف الآخر أو إفحامَهُ. فالذي ينظر في تلك الأجوبة وما يتَّصلُ بها من أسئلة يدرك بما لا مجالَ للشكّ فيه أنَّ السائلَ يهدف إلى الإفحام وإحراج المسؤول وإسكاتِهِ؛ نَضْرِبُ لذلك مَثَلًا بالرواية الآتية: "قالَ المَهْدِيُّ لِشَرِيْكٍ، وعيسى بنُ موسى عِنْدَهُ: لَوْ شَهِدَ عِنْدَكَ عِيْسَى كُنْتَ تَقْبَلُهُ؟ وَأَرادَ أنْ يُغْرِيَ بَيْنَهُما، فَقَالَ شَرِيْكٌ: مَنْ شَهِدَ عندي سألتُ عنه، ولا يُسْأَلُ عن عيسى غَيْرُ أَمِيْرِ المؤمنين، فإنْ زَكَّيتَهُ قَبِلْتُهُ. فَقَلَبَها عليه." [3]. فهذه الإشارة التي تضمَّنَتْها الروايةُ: (وأراد أن يغري بينهما) توضح لنا الغايةَ التي طُرِحَ من أجلها السؤالُ وهي ما أشرنا إليه من الإحراج والإسكات وما يتصل به؛ فما كان من المسؤول إلا أن جاء بجواب مسكت تلخِّصُهُ لنا العبارةُ التي ذُيِّل بها الخبرُ وهي: (فقلبها عليه)، أي على المهديّ الذي طرح السؤال عليه. ولا يكاد خَبَرٌ من أخبار الأجوبة المُسْكِتة يخلو من تضمُّنِ هذه الغاية التي أشرنا إليها.

أما تَضَمُّنُ الجوابِ لهذه الغاية فلا يحتاج للتدليل عليه؛ لأنه (مُسْكِتٌ)، وهذا كافٍ في إثبات ما أشرنا إليه من أن الغاية الأساسية منه هي الإسكات والإفحام.

ولا يقتصر وجود السؤال والجواب أو حضور الطرفين على فن الجواب المُسْكِت، بل نجده في فنون قولية أخرى، مثل المناظرة، والجدل، والمفاخرات، وغيرها. غير أن وجود السؤال والجواب تختلف غاياتُهُ وأساليبُهُ بين هذه الفنون؛ إذ يختلف الجوابُ المُسْكِتُ عن المناظرة على الرغم من كون السؤال هو الذي يُسْتَهَلُّ به كلاهما، بأنَّ الفارق بينهما واضحٌ وجَلِيٌّ؛ فالجوابُ المُسْكِتُ غيرُ قائمٍ على حوارٍ مُتَبادَلٍ (من أدوار متعددة) فَهُوَ دَوْرٌ واحدٌ(سؤال) ودَوْرٌ واحد (جواب). ومَنْ يفتح باب الحوار فيه يكون هو الخاسرَ بعَكْسِ المناظرة. فَهُوَ قريبٌ إلى الجدل وليس إلى غيره.

وقد حُدِّدَتْ شروطُ المناظرة بأنْ يكون المتناظرانِ متقاربين. وأن يُمْهِلَ كلٌّ منهما خصمَهُ حتى يستوفيَ مسألتَهُ، دون الإساءة إليه بالقول أو الفعل، وأن تكون غايةُ المناظرة إظهارَ الحقّ؛ ولذا يجبُ عدمُ مناظرة مَنْ لا يقنع بالحُجَّةِ[4]. ونتيجةُ المناظرة كنتيجة الجوابِ المُسْكِتِ، ولكنَّ الفارقَ أنَّ المناظرة حواريةٌ في حين أنَّ الأجوبة المُسْكِتةَ (مُسْكِتَةٌ) ليس فيها حوار. وإذا كان المناظِرُ يُمْهِلُ خصمَهُ، ولا يُسِيْءُ إليهِ،

وغايتُهُ الإقناعُ؛ فإنَّ المُجِيْبَ في الجواب المُسْكِتِ يَهْدِفُ إلى البَهْتِ والقَطْعِ والإسكاتِ وما يتَّصلُ به من الإحراج وغيرِهِ، ولا يَسْلُكُ طريقَ الإقناعِ أو الحُجَّةِ دائمًا، بل نجدُهُ في كثيرٍ من الأحيانِ يَسْلُكُ طريقَ الهَزْلِ، والمجون، والسَّفْسَطَةِ المستندة إلى بعض الطَّابُوْهاتِ الاجتماعية والمُحَرَّمات العُرْفيَّة وغيرها من الأساليب التي تؤدي إلى الوصول إلى الغاية من الجواب المُسْكِتِ.

وفي الأجوبة المُسْكِتةِ التي رُوِيَتْ لا نَجِدُ حوارًا بين السائلِ والمُجِيْبِ إلَّا في حالات نادرة. وإدارةُ الحوار في هذه الحالة تتراوحُ بين رغبةِ السائلِ ورَغْبَةِ المُجِيْبِ؛ فرغبةُ السائل الإفحامُ والإعجازُ، ورغبةُ المُجِيْبِ الإفحامُ والإسكاتُ، وإذا سَأَلَ وَأُجِيْبَ بجوابٍ مُسْكِتٍ كَمَا يَظُنُّ المُجِيْبُ حاوَلَ أنْ يُعِيْدَ الهَيْبَةَ لسؤالِهِ إنْ كانَ ثَمَّةَ مجالٌ في الجواب لإثارة سؤالٍ آخرَ يَظُنُّهُ مُعْجِزًا، ولكنَّهُ يُفاجَأُ بجوابٍ آخرَ أكثرَ إفحامًا يَقْطَعُ عليهِ رَغْبَتَهُ ويُنْهِي الحوارَ ويَخْتِمُهُ.

فالأسلوبُ الهجوميُّ الذي يقومُ بهِ السائلُ يُفاجَأُ بأسلوبٍ هُجُوميّ من المُجِيْبِ حتَّى وإنْ كان السؤالُ مُسْكِتًا في بعضِ الأحيان فَنَجِدُ لذلك آليَّةً يَسْتَوْلِدُها المُجِيْبُ من السؤالِ نفْسِهِ، وهذا ما نجدُهُ في وَصِيَّةِ حَمَّادٍ لأبي حَنِيْفَةَ الذي رُوِيَ عَنْهُ أنَّهُ قال: "قالَ لِي حَمَّادُ بنُ أبي سُلَيْمانَ: إذا سُئِلْتَ عن مُعْضلةٍ فاقْلِبْها سؤالًا على سائِلِكَ حتَّى تتخلَّصَ من مسألته..."[5].

فبِنْيَةُ الجواب المُسْكِتِ تُفْتَتَحُ بسؤالٍ وقد تُغْلَقُ بسؤالٍ وهو الأقلُّ؛ فبنيته بنيةٌ مغلقةٌ بعكس بنية المناظرة التي تكون بنيةً مفتوحةً، أو قُلْ بكلامٍ أدقَّ بنيةُ الجوابِ المُسْكِتِ بنيةٌ ضيقةٌ، يَحْرِصُ صاحبُ الجوابِ كما يَحْرِصُ صاحبُ السؤالِ على التضييق على الطرف الآخر من أجل إفحامه أو إسكاته فالسؤال أساسًا في وفق المَرْوِيَّاتِ التي وصلتْنا يأتي من أجل إحراج المخاطَبِ وإفحامه وإسكاته، ولكنَّ المخاطَبَ ينبري لردِّهِ بجوابٍ حاضرٍ مُسْكِتٍ فَيُلْقِمُ المُجِيْبُ السائلَ حَجَرًا بحَسْبِ ما وَرَدَ في ذَيْلِ الكثير من أخبار الأجوبة المُسْكِتة.

وليس بالضرورة أن يكون الإقناعُ هو وسيلةَ الإسكاتِ، بل إنَّ السائلَ رُبَّما كانَ سَبَبًا في ذلك، وأَعْنِي خَوْفَهُ من الجوابِ هو الذي يَدْفَعُهُ إلى السُّكوتِ؛ فقد رُوِيَ عن الشّعْبيّ أنَّهُ قالَ: "دَخَلْتُ على شُرَيْحٍ فَسَمِعْتُهُ يَقُوْلُ: احْذَرُوا الجوابَ. فَقُلْتُ له في ذلك، فقال: خاصَمَ إليَّ رَجُلٌ، فَقُلْتُ: ما أَظُنُّكَ تَدْرِي ما تقولُ! فقالَ: ما على ظَنِّكَ

خَرَجْتُ من أهلي. فَعَلِمْتُ أنَّ عندَهُ مِثْلَها فَسَكَتُّ."[6]. فإذا ما تساءَلْنا: لماذا يُعَدُّ الجوابُ مُسْكتًا؟ فهنا في هذا الخبرِ دليلٌ على أنَّ الجوابَ المُسْكِتَ حتَّى وإنْ لمْ يكنْ قاطعًا مُفْحِمًا بشكل نهائي فإنَّ السائلَ يَخْشَى أنْ يَرُدَّ المُجِيبُ عليه مرَّةً أُخرى فَيَصْعَقهُ بجوابٍ أكثرَ إيلامًا ويتَّضِحُ ذلك في قوله: "فَعَلِمْتُ أنَّ عِنْدَهُ مِثْلَها فَسَكَتُّ". وقد أشاروا إلى ذلك في نصائحِهم وحِكَمِهِمْ حتَّى قالوا: "مَنْ لَمْ يَخَفِ الجوابَ تكلَّمَ، وَمَنْ خافَهُ تَبَكَّمَ"[7].

يَظُنُّ السائلُ في الأجوبة المُسْكِتة أنَّهُ يَمْتَلِكُ الإجابةَ، أي المَعْرِفَةَ؛ لأنَّهُ يَتَوَقَّعُ شيئًا ما سَيُجَابُ بِهِ، فَيُفَاجَأُ بأنَّهُ لا يَمْتَلِكُ شَيْئًا فَيُصْعَقُ بجوابٍ مُسْكِتٍ في حِيْن أنَّهُ في المُناظرةِ هو الذي يُهَيْمِنُ على مَسِيْرِ الحوار.

وقد جاءت الأجوبة المُسْكِتة على بِنًى مختلفة كالآتي:

- فمنها ما اتَّخَذَ أسلوبَ **الحجاج بالانتقال**، ومن ذلك ما جاء في الخبر: "قالَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ لِيَحْيَى بنِ سَعِيْدِ بنِ العاص: بَلَغَني أنَّكَ تُشْبِهُ إبْلِيْسَ في قُبْحِ وَجْهِكَ؛ قالَ: وما يُنْكِرُ الأميرُ أنْ يَكُوْنَ سَيِّدُ الإنْسِ يُشْبِهُ سَيِّدَ الجِنّ؟."[8]. فالمُجِيْبُ هنا انتقل من الجواب المُحْتَمَلِ، وهو نَفْيُ الخَبَرِ السابق أو الطَّعْنُ فيه أو غير ذلك إلى إقرار حالةِ الشَّبَهِ والانتقالِ منها إلى تحقيقِ غايةٍ أخرى وهي: كما أنَّ إبليسَ سَيِّدُ الجِنّ فأنا سَيّدُ الإنس فلا غَرَابةَ في وجود الشّبهِ بَيْنَ سَيّدَيْنِ.
- ومنها ما **يُرَاعَى فيها حُجَّةُ الخَصْمِ** فَيُسْتَغَلُّ ما يَرِدُ في السؤال؛ ومنه:

"قالت امرأةٌ مُزَيّد يَوْماً، وكانتْ حُبْلَى ونَظَرَتْ إلى قُبْحِ وَجْهِهِ: الوَيْلُ لي إنْ كانَ الذي في بطني يُشْبِهُكَ! فقالَ لها: الوَيْلُ لي إنْ كانَ الذي في بَطْنِكِ لا يُشْبِهُني."[9]. فالجوابُ مُشْتَقٌّ من السؤالِ وجاء بألفاظِهِ نَفْسِها وبِتَغْيِيْرٍ بسيط. ومن الاستعانة بما في السؤال، ولكن بطريقةٍ أخرى الروايةُ الآتية: "قال عَبْدُ اللهِ بن خازم لِقَهْرَمانِهِ يَضْحَكُ مِنْهُ: إلى أيْنَ تَمْضِي يا هامانُ؟ قال: أَبْنِي لَكَ صَرْحًا؛ فَعَجِبَ من جوابِهِ، لأنَّهُ أشارَ إلى أنَّهُ فِرْعَوْنُ، إنْ كانَ هُوَ هامانَ." [10]. فالمُجِيْبُ هنا اسْتَحْضَرَ الصِّلَةَ بين فرعون وهامان في الموروث التاريخي الذي ينتمي إليه السائلُ والمُجِيْبُ، ولكنَّهُ لم يُصَرِّحْ بوصفِهِ له أنَّهُ فِرْعَوْنُ، بل لَمَّحَ وأشار إلى ما له صِلَةٌ مباشرةٌ بِهِ من خلال التناصّ مَعَ الآية القرآنية: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يا

هَامَانُ اِبْنِ لِيْ صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[11]، فاستطاعَ أنْ يُفْهِمَ مَوْلَاهُ أنَّهُ إنْ كانَ هامانَ كما دعاه هو فإنَّ سيّدَهُ لا بُدَّ أنْ يكونَ فرعونَ، ومِنْ هُنا كانَ الجوابُ مُسْكِتًا ومُعْجِبًا في الآنِ نَفْسِهِ وهو ما وضَّحَتْهُ عبارةُ الزمخشريّ عَقِبَ نَقْلِهِ للروايةِ كما نَقَلْنَا.

- وهناكَ **جوابٌ مُراوِغٌ**، ومِنْهُ الخبرُ الآتي:"عَادَ شُرَيْحٌ زِيادَ بْنَ أَبِيْهِ، فلَمَّا خَرَجَ قِيْلَ لَهُ: كَيْفَ تَرَكْتَهُ؟ قالَ: تَرَكْتُهُ يَأْمُرُ وَيَنْهَى؛ خَيَّلَ أنَّهُ صَحِيْحٌ يَقُوْمُ بِإمارَتِهِ آمِرًا ناهِيًا، وإنَّما أَرَادَ أنَّهُ مُشْفٍ، يَأْمُرُ بِتَنْفِيْذِ وَصَاياهُ، وَيَنْهَى عَنِ النَّوْحِ عَلَيْهِ."[12]، فَشُرَيْحٌ أَجَابَ إجابةً مُرَاوِغَةً يَقْرَؤُها المُتَلَقّي بِحَسْبِ مَوْقِفِهِ مِن المسؤولِ عَنْهُ (= زياد)؛ فإنْ كانَ من مُرِيْدِيْهِ فَهِمَ أنَّ جَوابَهُ بِشَارَةٌ بِشِفائِهِ من مَرَضِهِ، في حِيْنِ يَفْهَمُ المُبْغِضُ لَهُ أنَّ المَقْصُوْدَ مِنْها بِشارَةٌ أيضًا ولكنْ من الجانب المقابل، أيْ إنَّهُ على حافَّةِ الموت وقريبٌ منه بحَيْثُ إنَّهُ يَقُوْمُ بما يقوم به مَنْ حَلَّ بِهِ المَوْتُ من الإيصاءِ لِأَهْلِهِ بوصاياه ونَهْيِهِمْ عن الجَزَعِ عليه، وما يرتبطُ بذلك. والذي دَلَّ على كَوْنِ الإجابةِ مُراوِغَةً أنَّ الزمخشريَّ عَلَّقَ عليه بقوله: (خَيَّلَ أنَّهُ صَحِيْحٌ...) كما هُوَ واضِحٌ.
- وهناكَ جوابٌ يَغْلُبُ عليهِ **المُجُوْنُ والهَزْلُ** وَمِثَالُهُ: "أَنْشَدَ كُثَيِّرٌ شِعْرًا فَقَالَ لَهُ الفَرَزْدَقُ: هَلْ كانتْ أُمُّكَ تَرِدُ البَصْرَةَ؟ قالَ: لا. ولكنَّ أبي كانَ كثيرًا ما يَرِدُها"[13]. وَمِثْلُهُ: "قالَ رَجُلٌ لِأَبي نُوَاسَ: وَلَّاكَ أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ على القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ؛ قَالَ: فَاسْمَعْ وَأَطِعْ لِأَنَّكَ مِنْ رَعِيَّتِي"[14]. وَمِنْهُ ما رُوِيَ أَنَّهُ: "سَرَقَ مَدِيْنِيٌّ قَمِيْصًا، فَبَعَثَ بِابْنِهِ يَبِيْعُهُ، وَسُرِقَ مِنْهُ، فَلَمَّا رَجِعَ قَالَ لَهُ أَبُوْهُ: بِعْتَ القَمِيْصَ؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ: بِكَمْ؟ قالَ: بِرَأْسِ المالِ"[15]، فالجوابُ المُسْكِتُ هُنا جاء كالآتي: (خَبَر + خَبَرَ + خَبَر) ثُمَّ(سُؤال تمهيدي/ جواب حقيقي + سؤال/ جواب مُسْكِت)، والجوابُ المُسْكِتُ لا يُمْكِنُ فَهْمُهُ، ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ مُسْكِتًا إلَّا من خلال الرجوعِ إلى مَرْجِعِهِ، أَقْصِدُ الأخبارَ الثلاثةَ، فلا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ مَعْنَى (رأسِ المال) إلَّا بالرجوعِ إلى جُمْلَة (سَرَقَ مَدِيْنِيٌّ قَميصًا) و(سُرِقَ منه)، وبينهما عملية (البَيْع) التي تتوسَّطُ بينَ الجُمْلَتَيْنِ في البِنْيَةِ التركيبية للجواب والخَبَر، وكذلك الحالُ في البِنْيَةِ الدّلالية؛ فلا يمكنُ أنْ تَتِمَّ التجارةُ إلَّا من خلال عملية البيع التي

تتوسط بينَ(رأس المال) و(الرِّبْح). ومِنْهُ: "نَظَرَ الأصْفَهانيُّ إلى أبي هِفَّانَ يُسَارُّ رَجُلًا، فَقَالَ: فِيْمَ تَكْذِبانِ؟ فَقَالَ أبو هِفَّانَ: في مَدْحِكَ."[16].

وفي بعض الأحيان لا نجدُ الجوابَ المُسْكِتَ جوابًا عن سؤال، وإنَّما يكونُ رَدَّ فِعْلٍ على قَوْلٍ أو فِعْلٍ يَحْدُثُ أمامَ المُجِيْبِ وهو ليسَ مَقْصُوْدًا بالأمرِ، ولكنَّهُ يُبادِرُ بالجوابِ، ويَنقسمُ هذا الجوابُ بِحَسْبِ ما أَشَرْنا على قسمَيْنِ؛ فما كانَ مِنْهُ مُتَّجِهًا إلى السُّؤالِ فَلَيْسَ مِنَ الجواب المُسْكِتِ في شيء، أمَّا الذي يَتَّجِهُ إلى السائلِ فَهُوَ داخلٌ في الجَوابِ المُسْكِتِ الذي هو مَدَارُ بَحْثِنا؛ فَمِنَ الأولِ الرّوايةُ الآتيةُ: "قالَ رَجُلٌ أَعْمَى: ما أَشَدَّ ذَهابَ البَصَرِ! فَقَالَ رَجُلٌ أَعْوَرُ: عِنْدِي نِصْفُ الخَبَرِ"[17]. وَمِنَ الثاني الروايةُ الآتية: "قالَ رَجُلٌ لِلْجَمَّازِ: خَرَجَ بي دُمَّلٌ في أَقْبَحِ مَوْضِعٍ مِنّي. قالَ: كَذَبْتَ ها هُوَ وَجْهُكَ لَيْسَ فِيْهِ شَيْءٌ"[18]. ومِثْلُهُ: "قال عَبْدُ المَلِكِ لِأَعْرَابيّ: النَّاقَةُ إذا كانتْ تَمْنَعُ الحَلْبَ قَوَّمَتْها العَصَا؛ فَقَالَ: إذَنْ تَكْفَأُ الإناءَ وتَكْسِرُ أَنْفَ الحَالِبِ."[19].

فقد استعمل عبد الملك هنا **حُجَّةَ السُّلْطَةِ لِيُغالِطَها وَيَجْعَلَها سَبِيْلًا** للإسكات ولكنَّ المُجيبَ جاءَ بجوابٍ مُسْكِتٍ يُوْحِي بأنَّ العلاقةَ بين السائسِ والمَسُوْسِ لا يُمْكِنُ أنْ تَخْضَعَ لِقوانينِ السَّائسِ فَقَطْ، وهي هُنا قائمةٌ على الخُضُوْعِ المُطْلَقِ أو الإخضاعِ بالقوة، ولكنَّ المُجِيْبَ أشارَ إلى أنَّ رَدَّ الفعل عليها سيكونُ سَلْبِيًّا فَتَكْفَأُ الإناءَ (= تَمْنَعُ الموارِدَ الماليةَ عن السُّلطة) وتَكْسِرُ أَنْفَ الحالب (= تَشْغَبُ على الدَّولةِ وتتَّخِذُ دَوْرَ المعارضة).

ومثله في استغلال حُجَّةِ السُّلْطة ما جاء في أثناء محاورة يَتَصَوَّرُ السائلُ فيها أنَّهُ يستطيعُ الرَّدَّ على الجوابِ بجوابٍ يَظُنُّهُ مُسْكِتًا فيأتي الآخرُ بجوابٍ ثانٍ أشَدَّ إيلامًا: "قالَ مُؤَدِّبُ يزيدَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ يَوْمًا لَهُ: لَحَنْتَ. فَقَالَ: الجَوادُ يَعْثُرُ. قال المؤدّبُ: إيْ واللهِ، وَيُضْرَبُ حَتَّى يَسْتَقِيْمَ. فَقَالَ: وَرُبَّما كَسَرَ أَنْفَ سائِسِهِ."[20]. فالمؤدّب هنا - في أثناء حواره مع الأمير - أرادَ تَبْكِيْتَ الأمير بأنَّهُ يُخْطِئُ في كلامه، فما كان منه إلَّا أنْ ذَكَرَ له شاهدًا على جَوازِ حُدُوْثِ ذلك وعَدَمِ تَكْرَارِهِ، كما أنَّ الجواد يَعْثُرُ، فما كان من المؤدِّبِ الذي لم يَفْهَمِ الإشاراتِ التي ضَمَّنَها الأميرُ كلامَهُ، فبَادَرَ مُمْعِنًا في خِطابِهِ التَّبْكِيْتيّ، فَقَالَ: (ويُضْرَبُ حتَّى يستقيمَ)، فَيَنْتَهِجَ النَّهْجَ الخاطِئَ في التأديبِ؛ وهُنا يَظْهَرُ الجوابُ المُسْكِتُ الذي يتَّخِذُ من امتلاكِ السلطة والترهيب بها

وسيلةً لِكَبْحِ جِماحِ ذلكَ المُؤَدِّبِ وَقَطْعِ خِطابه التبكيتي وفَرْضِ الهَيْمَنَةِ عليه وإخضاعِهِ.

2. الأجوبة المسكتة والمغالطة:

ويُوْحِي استعمالُ الأسئلةِ التي يكون جوابُها مُسْكِتًا بأنَّ مِنْ أبرزِ سِماتِ كثيرٍ منها أنَّها **مُغَالِطَةٌ**. وبَعْضُ الأجوبةِ المُسْكِتةِ تكون مُغَالِطِيَّةً أيضًا. وتقومُ المُغَالَطَةُ على شَيْئَيْنِ هُما: (سُوْءُ النيَّة) و(الإضْمار)، اللذان يحضران عندَ السائل والمُجِيْبِ معًا كما أشرْنا إلى ذلك فيما سَبَقَ. وفي بعضِ الأحيانِ يَخْرُجُ المُجِيْبُ بجوابٍ مُسْكِتٍ عن طريق التَّمَاجُنِ والتَّحَامُقِ، مثل قَوْلِ مُزَبِّد وقد سُئِلَ: "هَلْ في بَيْتِكَ دَقِيْقٌ؟ قالَ: لَا، وَلَا جَلِيْلٌ" فَنَجِدُ أنَّ الجوابَ كان يَتَضَمَّنُ سِمَةً إعلاميَّةً إيصاليةً فَهُوَ قَدْ أَجَابَ عَنِ السُّؤالِ بِعَدَمِ وُجُوْدِ الدَّقِيْقِ في بيتِهِ، ولكِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بذلكَ بَلْ شَقَّقَ من اللفظِ مَعْنًى آخرَ وَهُوَ المُقَابِلُ لِلْجَلِيْلِ فَكَأَنَّهُ بِهذا الأسلوبِ لَمْ يُجِبْ عن المَسْؤُولِ عنْهُ المَقْصُوْدِ أَوَّلًا وَهُوَ(الطَّحِيْنُ)، وَكَأَنَّهُ قَدْ خَصَّصَ دلالةَ(الدَّقِيْقِ) بما يُقَابِلُ الجَلِيْلَ فَقَطْ. وَمِثْلُهُ:"رُئِيَ مَدِيْنِيٌّ في يَوْمٍ بارِدٍ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ كانَ يُعْرَفُ بِالفِسْقِ، فَقِيْلَ لَهُ: ما تَصْنَعُ ها هُنَا؟ قالَ: أَصْطَلِي بِنارِهِ."[21].

وَقَدْ يكونُ السَّائلُ هُوَ مَنْ يَنْتَصِرُ في بِنْيَةِ الجواب المُسْكِت على خلافِ ما ذكرناه؛ إذا كانَ سُؤالُهُ مَشْحُوْنًا أَوْ مُرَكَّبًا، وَهُوَ أُسْلُوْبٌ يَعْمِدُ فِيْهِ المُتَكَلِّمُ"إلى دَسِّ " فُرُوْضٍ مُسَبَّقَةٍ" presuppositions غَيْرِ مُبَرَّرَةٍ وَغَيْرِ داخلةٍ في التزاماتِ الخَصْمِ، داخِلَ سُؤالٍ واحدٍ، بِحَيْثُ إنَّ أيَّ جوابٍ مُبَاشِرٍ يُعْطِيْهِ المُجِيْبُ يُوْقِعُهُ في الاعْتِرَافِ بهذهِ الفُرُوْضِ."[22].

ومِنْ ذلك ما رُوِيَ من أنَّ الحَجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ دَعَا "رَجُلًا لِيُوَجِّهَهُ إلى مُحَارِبةِ عَدُوٍّ، فقالَ لَهُ: عِنْدَكَ خَيْرٌ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ عِنْدِي شَرٌّ، قَالَ: ذلكَ الذي أَرَدْتُكَ لَهُ؛ اِمْضِ لِوَجْهِكَ."[23].

فالسائلُ هُنا يَنْصبُ الأُحْبُوْلَةَ للمُجِيْبِ، وهوَ لا يَمْتَلِكُ خِيَارًا في الجوابِ، فَهُوَ وإنْ اخْتارَ ما ظَنَّ أنَّهُ يُخَلِّصُهُ مِنْ خِدْمَةِ الحَجَّاج الذي أرادَ أنْ يَسْتَعْمِلَهُ مِنْ خِلالِ قَوْلِهِ: (عِنْدَكَ خَيْرٌ؟) فقال: (لَا، وَلَكِنْ عِنْدِي شَرٌّ) ظَنًّا مِنْهُ أنَّ ذلك يُثْنِي الحَجَّاجَ عَن اختيارِهِ لمحاربةِ ذلك العدوّ، ولكِنَّ الحَجَّاجَ كان عازمًا على ذلك، والدَّليلُ أنَّهُ أوْهَمَ المخاطَبَ بِوَضْعِهِ كلمةَ(خير) وسط السؤال لِتُشْعِرَهُ بأنَّ الذي تَتَوَفَّرُ فيه هذه

الصفةُ هو الذي سَيَخْتَارُهُ الحَجَّاجُ فَأَوْقَعَهُ ذلك في محاولةِ نَفْيِ وُجُوْدِها فيه بِضَمِيْمَةِ تَوَفُّرِهِ على النَّقِيْضِ؛ مِمَّا حَدَا بالحَجَّاجِ إلى أنْ يَقُوْلَ: (ذلك الذي أردتك له). فالسؤالُ هُنا مُغالِطِيٌّ، حاولَ المخاطَبُ تلافي الوقوعِ في أُحْبُوْلَتِهِ، ولكنَّ السائلَ هنا امْتَلَكَ زِمَامَ الأمورِ مُسْتَغِلًّا ما عُرِفَ بِهِ مِنَ القَسْوةِ في سِيْرَتِهِ وهو ما يَنْدَرِجُ في إطارِ الـ (شر) الذي نَطَقَ بِهِ المُخَاطَبُ مُحَاوِلًا التَّخَلُّصَ من التكليفِ بذلك العملِ. فالبنيةُ الحِجاجِيَّةُ هُنا مختلفةٌ اخْتِلافًا كُلِّيًّا عَمَّا وَرَدَ من نصوص الأجوبة المُسْكِتة بأنَّها انتصارٌ للسائلِ الأولِ من جِهَةٍ، وهو جوابٌ عن جوابٍ وَلَيْسَ جَوَابًا عن سؤالٍ من جهةٍ ثانيةٍ، وهو نَتَاجُ سُؤالٍ مُغَالِطِيّ حَاوَلَ المُخَاطَبُ مُوَاجَهَتَهُ بِجَوابٍ مُغَالِطِيّ فَجُوْبِهَ بِجَوَابٍ مُسْكِتٍ مِنْ جهةٍ ثالثةٍ.

وَلَعَلَّ مِمَّا تَجْدُرُ الإشارةُ إليهِ أنَّ الأجوبةَ يُمْكِنُ تَصْنِيْفُها إلى نَوْعَيْنِ أساسيينِ هما:

1- **أجوبةٌ تَتَّجِهُ إلى السُّؤال** نفْسِهِ لتكونَ جوابًا عنه؛ إمَّا لتعريفِ جاهلٍ بأمرٍ ما، أوْ لِتَوْضِيْحِ مُشْكِلٍ، أوْ لِزيادةِ مَعْرِفَةٍ، أو للتعبيرِ عن موقفٍ فكريّ معيَّنٍ، أو غير ذلك، وتندرجُ في إطارِ ذلكَ الأجوبةُ الحِكْمِيَّةُ، والوعظيةُ، وأجوبةُ الزُّهَّادِ، وأجوبةُ الفلاسفةِ، والأجوبةُ على ألسنةِ الحَيَواناتِ، وما جَرَى مُجْرَاها؛ لأنَّ هذه الأصنافَ من الأجوبةِ لا يَهْدِفُ صاحبُها إلى وَضْعِ السائلِ في مَوْضِعِ الإحراجِ والإسكاتِ وما إليه. ولكنْ يُسْتَثْنَى مِنْهَا ما كانَ الجوابُ فيهِ مُوَجَّهًا إلى السائلِ نفسِهِ من أجلِ إسكاتِهِ، وهو قليلٌ جدًّا في هذه الأنواعِ التي ذكرناها.

2- **أجوبةٌ تَتَّجِهُ إلى السائلِ** وليسَ إلى السؤالِ، وعِنْدَئِذٍ تَقُومُ بدَوْرِ المُفْحِمِ المُسْكِتِ، وإنَّما الذي يكونُ مُسْكَتًا هُوَ السائلُ لا السؤالُ، وهُنا نَجِدُ نَمَطًا خاصًّا من السؤالِ يَجِبُ تَوَافُرُهُ لكي يكونَ الجوابُ مُسْكِتًا. وعلى العُمُوْمِ لا بُدَّمن أنْ يكونَ السؤالُ ناشِئًا أوْ مُعَبِّرًا عن غايةٍ أساسيةٍ وهي أنَّ السائلَ يُرِيْدُ إحراجَ المسؤولِ أو إسكاتَهُ، أو إفحامَهُ، أو تَوْبِيْخَهُ، أو إضحاكَ الآخرينَ منه، أو غير ذلك من الغاياتِ التي تَرْتَبِطُ بِهِ. ومِنْ ثَمَّ يكونُ الجوابُ مُتَّجِهًا إلى السائلِ للرَّدِّ عليهِ، ويَسْلُكُ المُجِيْبُ أساليبَ مختلفةً في الردِّ، وليس بالضرورةِ أنْ يَسُدَّ الجوابُ فَرَاغًا أو حاجةً عندَ السائلِ أو السؤالِ، بل نَجِدُهُ في بعضِ

الأحيانِ يكونُ مُغَالِطِيًّا، أو هازلًا، أو ماجنًا، ورُبَّما كان جَوابًا مَعْرِفِيًّا، ولكنَّهُ في هذه الحالاتِ كُلِّها يَسْعى المجيبُ إلى الإسكاتِ والإفحامِ أو الهجومِ المقابلِ لهجومِ السائلِ ويَتَوَسَّلُ للوصولِ إلى ذلك بأساليبَ بلاغيةٍ مُتَعَدّدَةٍ ومُتَنَوّعَةٍ. وَقَد امْتَزَجَ الجوابُ المُسْكِتُ بالسُّخْرِيَةِ التي هي "مُمَارَسَةٌ هُجُوْمِيَّةٌ، وتِقْنِيَّةٌ فعالةٌ لإبطالِ رُدُوْدِ الفِعْلِ المُحْتَمَلَةِ للمَسْخُوْرِ منه وإنزالِهِ مَنْزِلَةً حَرِجَةً، لا سيَّما وأنَّ الجمهورَ ليسَ مَصْدَرَ الملفوظِ الباعثِ على الضَّحِكِ، كما قد يَنْسَلِخُ مِنْهُ الساخِرُ أَيْضًا، بإسنادِهِ إلى تَلَفُّظِ صدى وأصواتٍ مُغَيَّبَةٍ أو شاهدةٍ على القَوْلِ"[24].

فالسائلُ حينَ يَطْرَحُ سؤالَهُ يَتَّخِذُ مَوْقِعَ المُرْسِلِ من خلالِ السؤالِ الذي يَتَغَيَّا الإفحامَ والإحراجَ والإسكاتَ، أمَّا المُجِيْبُ فَهُوَ حِيْنَ يَتَلَقَّى الرسالةَ التي يَتَضَمَّنُها السؤالُ يَكُوْنُ مُسْتَقْبِلًا أوْ مُرْسَلًا إليهِ، ولكنَّهُ لا يَقْنَعُ بهذا الدورِ فَقَطْ؛ لأنَّهُ دَوْرٌ سَلْبِيٌّ بحَسْبِ افتراضاتِ المُرْسِلِ أو تَوَقُّعاتِهِ، ولذا نَجِدُهُ يقوم بدَوْرٍ مُهِمّ آخَرَ وهو الرَّدُّ على السؤالِ بجوابٍ مُسْكِتٍ، وعِنْدَئِذٍ يَتَقَمَّصُ المُجِيْبُ دَوْرَ المُرْسِلِ في طَرْحِ الجَوابِ ويكونُ السائلُ في هذه الحالةِ في دَوْرِ المُرْسَل إليهِ ولكنَّهُ هنا لا يمكنُ أنْ يَقُوْمَ بالرَّدّ؛ لأنَّ الجوابَ مُسْكِتٌ فَهُوَ في الحالتين يؤدّي دَوْرًا سَلْبِيًّا؛ فَهُوَ حِيْنَ يَطْرَحُ السؤالَ يَتَوَهَّمُ أنَّ بإمكانِهِ إحراجَ المسؤولِ وإسكاتَهُ؛ فَهُوَ سَلْبِيٌّ لأنَّ اعتقادَهُ كان مَبْنِيًّا على الوَهْمِ الذي سَيُؤَدّي إلى نتيجةٍ مُخَالِفَةٍ لِمَا اعْتَقَدَهُ، أعْني أنَّهُ أرادَ أنْ يكونَ هُوَ المُتَحَكّمَ في عَمَلِيَّةِ الاتّصالِ من خلالِ إظهارِ قُوَّتِهِ وبراعتِهِ التي تُحْرِجُ الطَّرَفَ الآخرَ وتُسْكِتُهُ. أمَّا في الحالة الأخيرة، حِيْنَ يُرَدُّ عليهِ بجوابٍ مُسْكِتٍ، فَهُوَ آنَئِذٍ سَيَكُوْنُ سَلْبِيًّا تَمَامًا؛ لأنَّهُ سَيَكُوْنُ صامِتًا مَغْلُوبًا مَبْهُوتًا كما أوْضَحْنا.

وهذا خلافُ ما نَجِدُهُ في المناظراتِ التي تكونُ تَعْبِيرًا عن عَمَلِيَّةِ(التَّواصُل) وليسَ (الاتّصال)؛ ففي التواصل يكونُ الاتصالُ من جانبين؛ يكونُ مَرَّةً مُتَكَلِّمًا وأخرى مُتَلَقّيًا في الآنِ نَفْسِهِ. وعَمَلِيَّةُ التواصلِ في المناظرةِ عمليةُ تبادُلِ أدوارٍ في حينِ أنَّ الغايةَ الأساسيةَ من الجوابِ المُسْكِتِ أنْ لا يَسْمَحَ للطَّرَفِ الآخرِ بأخْذِ أيّ دَوْرٍ، ومَنْعِهِ من الكلامِ.

3. تداولية الجواب المسكت:

يُعَدُّ الجوابُ المُسْكِتُ أُنْمُوذَجًا مُتَمَيِّزًا من نماذجِ الاتّصالِ اللسانيّ، ويَمْتَازُ بِثِقْلِهِ التَّدَاوليّ، مِمَّا يَدْفَعُنا إلى النَّظَرِ إليهِ على وَفْقِ تَحْلِيْلِ الخِطابِ الذي "يَلْتَقي مَعَ التَّدَاوُلِيَّةِ في تَحْلِيْلِ الحِوارِ وتَحْليلِ الأفعالِ الكَلَاميَّةِ."[25]. والحوارُ الذي نَجِدُهُ في الجَدَلِ والمناظرة وغيرِهما من ضُرُوْبِ الممارساتِ التَّواصليَّةِ، وخُصُوْصًا ما يُمْكِنُ وَصْفُهُ بالحِوارِ الحِجَاجي أنواعٌ مُخْتَلِفَةٌ، كالمُشَاجَرَةِ التي تَتَّصِفُ بالانفعالِ وحُضُوْرِ التَّجَاوزاتِ الخُلُقِيَّةِ، وكالمناظرة، وكالتَّحْقِيْقِ والبَحْثِ عن الأَدِلَّة التي تُوْصِلُ إلى دَليلٍ قاطعٍ لِكَسْبِ قَضِيَّةٍ ما، وكالمُفَاوَضَةِ التي هي مَحَلُّ المَكَاسِبِ الشَّخْصِيَّةِ من خلالِ المُقَايَضَةِ والمُسَاوَمَةِ" وَنَجِدُ في هذهِ الأنواعِ الأربعةِ أنَّ المِحْوَرَ الأساسيَّ في الوظيفةِ الحِجاجِيَّةِ هو المُتَلَقّي، حَيْثُ تَوَصَّلَت التداوليةُ في العصرِ الحديثِ إلى الاهتمامِ بهِ سامعًا وقارئًا ومُنَاقِشًا"[26].

غَيْرَ أنَّ من المُهِمّ الإشارةَ إلى أهميةِ المُرْسِلِ في عمليةِ التَّوَاصُلِ؛ "لأنَّ إرادةَ المُرْسِل تَظَلُّ رُكْنًا أساسًا في تداوليتِهِ"[27]، ومن خلال ما قُلْناه يُمْكِنُ لنا أنْ نُوَضّحَ ما يَتَّصِلُ بالجوابِ المُسْكِتِ؛ فَقَضِيَّةُ الحِوارِ فيهِ تَخْتَلِفُ عن المناظرة كما وضحنا سابقًا؛ لأنَّهُ ليسَ فيهِ تَبَادُلُ أدوارٍ، فَهُوَ في صِيْغَتِهِ الأكثرِ شُيُوْعًا: (سؤال/ جواب مسكت)، وأقصى ما يُمْكِنُ أنْ يَصِلَ إليهِ دَوْرَانِ: (سؤال/ جواب، سؤال/ جواب مسكت)؛ ومن ثَمَّ فليسَ الفاعلَ الرئيسَ فيه هو (المُتَلَقّي) وإنَّما (المُرْسِل) من خلال رُكْنَي الأجوبةِ المُسْكِتة، وأعْنِي بذلكَ تَشْغِيْلَ الوظيفةِ الحِجاجِيَّةِ من خلال الكَفَاءَةِ التَّداوُليَّةِ التي يَمْتَلِكُها؛ وتَنْحَصِرُ خَصَائِصُ الفِعْلِ الكلاميّ في كَوْنِهِ دَالًّا، إنْجَازيًّا، تأثِيْرِيًّا، يُنْجِزُ مِنْ خلالِ الكَلماتِ الأشياءَ والأفعالَ الاجتماعيةَ، ويَتْرُكُ - إنْ كانَ فِعْلًا ناجِحًا - آثارَهُ في الواقعِ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَكُوْنَ الفِعْلُ كذلكَ إلَّا إذا كانَ قائِمًا على مَفْهُوْمِ القَصْدِيَّةِ[28].

فالسَّائلُ (مُرْسِلٌ) يُوَجِّهُ خِطابَهُ إلى المسؤولِ وغايتُهُ الأساسيةُ أنْ يُسْكِتَهُ أو يُفْحِمَهُ أو يَجْعَلَهُ أُضْحُوْكَةً أو مَحَلًّا للهُزْءِ والسُّخْريةِ، لإظهارِ تفَوُّقِهِ عليه أو هَيْمَنَتِهِ أو ما إلى ذلك، فَهُوَ يَتَوَهَّمُ أنَّ المسؤولَ لنْ يَسْتَطِيْعَ الرَّدَّ على ما طُرِحَ عليهِ من سؤال باختلافِ الوَسيلةِ في ذلك من مُغَالَطَةٍ وما شابَهَا، فما يَشْعُرُ إلَّا والطَّرَفُ الآخَرُ المسؤولُ (= المُتَلَقّي السَّلْبي) بحَسْبِ افْتِراضِهِ أو تَوَهُّمِهِ، يَقُوْمُ بِرَدٍّ عنيفٍ غيرِ

متوقَّعٍ في أغلبِهِ يَصْعَقُ السَّائِلَ ويُسْكِتُهُ، وَهُوَ آنَئِذٍ سيكونُ المُتَلَقّيَ، والمُجِيْبُ سيكونُ هوَ المُرْسِلَ الذي سَيَتَحَكَّمُ في نتيجةِ الحوارِ ويَفْرِضُ هَيْمَنَتَهُ وسُلْطَتَهُ على الطرف الآخر (= السائل)، مُتَوَسّلًا إلى ذلكَ بِوَسائلَ وأساليبَ مختلفةٍ منها ما يَتَّصِلُ بالحُجَجِ والبراهين، ومنها ما يَتَّصِلُ بوسائلَ أُخْرَى مُغَالِطِيَّةٍ وَغَيْرِها.

ومِنْ ثَمَّ فإنَّ المحورَ الأساسَ في الوظيفةِ الحِجاجِيَّة في هذا النوعِ من الحِوارِ هُوَ (المُرْسِل) وليس المتلقي، وهو ما يُفَارِقُ ما نَقَلْنَاه قَبْلَ قَلِيْلٍ؛ لأنَّ المُرْسِلَ هُوَ الذي يَتَحَكَّمُ ويضْطَلِعُ بالدَّوْرِ الإيجابيّ سواء في حالةِ السَّائلِ المَبْنِيَّةِ على وَهْمِ التَّفَوُّقِ كما وَضَّحْنا، أوْ في حالةِ المُجِيْبِ كما تُؤَكِّدُهُ العِبَارةُ المتكررةُ:(أَلْقَمَهُ حَجَرًا) أيْ أَجَابَهُ بِجوابٍ مُسْكِتٍ.

وإذا نظرْنَا إلى أنواعِ الحِوارِ الحِجَاجيّ السابقِ ذِكْرُها نَجِدُ أنَّ(المشاجرة) هي الأقربُ إلى الجوابِ المُسْكِتِ لأنَّ الجانبَ الانفعاليَّ حاضرٌ فيهما معًا، فَضْلًا عن التَّجَاوُزاتِ غَيْرِ الخُلُقِيَّةِ التي يَتَّصِفُ بها كِلَا النَّوْعَيْنِ، بَيْدَ أنَّ المُشَاجَرَةَ – كَمَا نَفْهَمُ مِنْ عُمُوْمِها – يُمْكِنُ أنْ يُرَافِقَ الفِعْلَ اللُّغَوِيَّ فيها أَفْعالٌ جَسَدِيَّةٌ أُخْرَى، في حِيْنِ أنَّ الجَوابَ المُسْكِتَ لا يُرَافِقُهُ فِعْلٌ لُغَوِيٌّ أو جَسَدِيٌّ أوْ غَيْرُ ذلك؛ لأنَّ السائلَ سَيَكُوْنُ مَبْهُوْتًا مُسْكَتًا. هذا مِنْ ناحِيَةٍ، ومِنْ ناحيةٍ أُخْرَى فإنَّ المِحْوَرَ الأساسيَّ للوَظيفةِ الحِجاجِيَّةِ في المُشَاجَرَةِ الشَّخْصِيَّةِ كما وَضَّحَ المُنَظِّرونَ لذلك هو المتلقي في حينِ كانَ المرسِلُ هوَ المحورَ الأساسيَّ في الجوابِ المُسْكِتِ؛ لأنَّ المتلقّي في حالتي الإرسال (السؤال/ الجواب) هو مُتَلَقٍّ سَلْبِيٌّ: في حالةِ السؤالِ بِتَوَهُّمِ السائلِ، وفي الجوابِ من خلالِ النتيجةِ النهائيةِ وهي الإسكاتُ والإفحامُ.

وقد اتَّصَفَ الجَوَابُ المُسْكِتُ بالإيجازِ الشَّدِيْدِ، وَهوَ غَيْرُ مُخِلٍّ، وهو من سماتِ البلاغةِ والمَقْدرَةِ؛ إذْ "لا يَسْتَطِيْعُ إيجازَ الخِطابِ إلَّا ذو كَفَاءَةٍ تَدَاوُلِيَّةٍ عاليةٍ"[29]. وقدْ أعْطَتْنا الأجوبةُ المُسْكِتةُ التي تَضَمَّنَتْها المصادرُ العربيةُ القديمةُ نماذجَ رائعةً في التَّدْلِيْلِ على هذهِ الكفاءةِ من خلالِ الإيجازِ الشَّدِيْدِ الذي قَدْ يَصِلُ في كثيرٍ من الأحيانِ إلى بِضْعِ كَلِماتٍ ولكنَّها تَمْتَازُ بِمَحْمُوْلِها الدّلاليّ الثَّرِيّ جِدًّا. فإنَّ كُلَّ شَخْصٍ في الجماعةِ الثقافيةِ يَهْتَمُّ بِحِفْظِ وَجْهِهِ الاجتماعيّ، السَّلْبِيّ أو الإيْجابيّ، مِنْ أَجْلِ استمرارِ التَّوَاصُلِ، و"بِتَعْبِيْرٍ بَسِيْطٍ، الوَجْهُ السَّلْبِيُّ هو الحاجةُ إلى الاستقلالِ، بَيْنَما الوَجْهُ الإيجابيُّ هو الحاجةُ إلى الارتباطِ."[30].

غَيْرَ أنَّ ما يَجِبُ أنْ يُشَارَ إليهِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِذلكَ أنَّ نَظَرِيَّاتِ(الوَجْهِ) و(التَّهْذِيْبِ) و(التَّأَدُّبِ) و(التَّعَاوُنِ) وغَيْرِها مِمَّا شاعَ في أَدَبِيَّاتِ التداوليةِ لا يُمْكِنُ الاستنادُ إليها في تحليلِ هذا النوعِ من الفنونِ القَوْلِيَّةِ؛ فالعَلاقةُ بينَ السائلِ والمُجِيْبِ لا يُمْكِنُ أنْ تكونَ (تَعَاوُنِيَّةً) أو (تَأَدُّبِيَّةً)، أو قائمةً على التَّهْذِيْبِ؛ في الجوابِ المُسْكِتِ لا يكونُ مَبْدَأُ التَّعَاوُنِ الذي رَسَّخَهُ(غرايسGrice) حاضِرًا بَلْ يَخْرِقُهُ كُلٌّ مِنَ السائلِ والمُجِيْبِ. إذْ وَضَّحْنَا أنَّ غايةَ كُلٍّ مِنْهُما هي الإفحامُ؛ ومِنْ ثَمَّ فإنَّ كُلًّا منهما سَيَسْتَعِيْنُ بِوَسِيْلَةٍ تُلائِمُ هذه الغايةَ ولا يُمْكِنُ أنْ تُلائِمَ التَّهْذِيْبَ أوْ ما يَرْتَبِطُ بِهِ، بَلْ بالعَكْسِ من ذلكَ نَجِدُ أنَّ(السُّخْرِيَةَ) هي المُحَرِّكُ الأساسيُّ والسِّمَةُ البارزةُ لهذا الفَنِّ.

وَلَعَلَّ منَ الأمثلةِ الدَّالَّةِ هنا ما وَرَدَ في الخَبَرِ: "دَخَلَ خُرَيْمٌ النَّاعِمُ على مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فنَظَرَ مُعَاوِيَةُ إلى ساقَيْهِ فَقَالَ: أَيُّ ساقَيْنِ لَوْ أَنَّهُمَا عَلَىْ جَارِيَةٍ؟! فَقَالَ لَهُ خُرَيْمٌ: في مِثْلِ عَجِيْزَتِكَ يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ! قَالَ: واحِدَةٌ بأُخْرَىْ، والبَادِئُ أَظْلَمُ."[31].

فَلَيْسَ في الجوابِ المُسْكِتِ أيُّ تَأَدُّبٍ؛ لأنَّ ذلك خلافُ الغايةِ التي يَسْعَى إلى تَحْقِيْقِها؛ فَقَوْلُهُ: (يا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ) فيهِ مِنَ السُّخْرِيَةِ ما فِيْهِ؛ إذْ لا يَنْبَغِي لِمَنْ هذا وَصْفُهُ، إنْ كانَ حَقِيْقًا بِهِ، أنْ يُخَاطِبَ النَّاسَ بهذا الأسلوبِ الذي يَنْتَقِصُ مِنْ كَرامَتِهِمْ. هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أُخْرَى؛ فإنَّ قَوْلَ مُعاويةَ: (واحدة بأخرى، والبادئ أظلم) اعترافٌ بأنَّهُ يَسْتَحِقُّ هذا الرَّدَّ الحاسمَ والجَوابَ المُسْكِتَ من خُرَيْمٍ؛ لأنَّهُ كانَ هو المبادرَ السبَّاقَ إلى الإهانةِ مُتَوَهِّمًا أنَّه يَسْتَطِيْعُ من خلال خِطابِهِ أنْ يَفْرِضَ هَيْمَنَتَهُ وهَيْمَنَةَ خطابِهِ على المتلَقّي، مُسْتَعِيْنًا بالسُّلْطَةِ التي يمتلكها، والتي تَفْرِضُ هَيْبَتَها على الطرفِ الآخرِ؛ فَتَمْنَعُهُ من الرَّدِّ على مُعَاوِيةَ. ولكنَّهُ يُفَاجَأُ بأنَّ ما افْتَرَضَهُ مِنْ مَوْقِفٍ لِخُرَيْمٍ كانَ خاطئًا؛ ولذا فَهُوَ لا يَنْسَاقُ وَرَاءَ وَهْمِهِ فِيْمَا بَعْدُ؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ - كما وضَّحْنا سابقًا في حالات مماثلةٍ - أنَّ الذي يأتي بمثلِ هذا الجوابِ، يَسْتَطِيْعُ الإتيانَ بآخرَ مِثْلِهِ، أوْ أَشَدَّ مِنْهُ، ولذا جاءتْ عبارتُهُ (واحدة بأخرى)، فإذا ما بادَرَ مُعَاوِيَةُ بواحدةٍ أخْرى؛ فإنَّهُ سَيَلْقَى جَوابًا رُبَّما يَكُوْنُ أَشَدَّ إيلامًا من الأولِ.

خاتمة:

يُمَثِّلُ الجوابُ المُسْكِتُ أُنْمُوْذَجًا فَرِيْدًا من نَوْعِهِ في النثر الفنيّ العربيّ، وتَكْمُنُ فَرَادَتُهُ في أنَّهُ جَمَعَ أكْثَرَ سِماتِ البلاغةِ ومعاييرِ الجَمَالِ الفَنّي التي حُدِّدَتْ وقُنِّنَتْ في

إبَّانِ ظُهُوْرِهِ وازدهارِهِ؛ فَهُوَ مُوْجَزٌ إيجازًا شديدًا، وبليغٌ، ومُؤَثِّرٌ إلى درجةٍ كبيرةٍ، وأَدَاؤُهُ لِوَظِيْفَتِهِ التَّأْثِيرِيَّة الحِجَاجيَّة يُؤَكِّدُ كَفَاءَتَهُ التَّداوليةَ العاليةَ.

وقد أشرنا إلى خَصَائِص الفِعْلِ الكلاميّ التي توافرت في الأجوبة مما جعل كفاءتها التداولية عالية؛ لِإيجازِها أَوَّلًا، فَضْلًا عَنْ تَحْقِيْقِها لِغَاياتِها ومَقَاصِدِها التي أُنْشِئَتْ من أجْلِها. ولا أَظُنُّ أنَّ ثَمَّةَ فَنًّا من فنونِ القَوْلِ في التراثِ العربي الإسلامي قَدْ تَوَافرَ على هذهِ المِيْزَةِ التَّأْثِيرِيَّةِ التي لا يَكْتَفِي فيها (المُجِيْبُ) بالإدْهاشِ والإغْرابِ والجِدَّةِ وما إليها مِمَّا يَتْرُكُ آثارًا نَفْسِيَّةً تَتْبَعُها استجاباتٌ شَتَّى من المتلقي، وإنَّما يُحَقِّقُ غايةً لا نَجِدُها حاضرةً في غَيْرِهِ من الفنونِ وهي (الإسكاتُ)، وهو ما لا نَجِدُهُ حتَّى في الأنواعِ المُشَابِهَةِ، أعْني (المناظرات) و(المفاخرات) و(الجَدَل) وضُرُوْبَ المُشاجرةِ والمُنَافَرَةِ الأخرى التي تَعْتَمِدُ الطابعَ الحِجاجيَّ مَنْهَجًا لها. بَيْدَ أنَّ الحِجاجَ في الأجوبة المُسْكِتة يختلفُ عن الحجاج في الأنواعِ الأخرى كُلِّها؛ لأنَّ له بِنْيَةً خاصَّةً تُمَثِّلُ، أَكْثَرَ ما تُمَثِّلُ، ثَمَرَةَ الحِجاجِ، أعْني النتيجةَ من خلالِ قَوْلٍ مُوْجَزٍ، ولكنَّهُ يَخْتَزِنُ - في كثيرٍ من الأحيانِ - مَضَامِيْنَ كَثِيْرَةً تَسْتَنِدُ إلى مَرْجِعيَّاتٍ ثَقَافيَّةٍ وتاريخيَّةٍ واجتماعيَّةٍ كثيرةٍ تُؤَهِّلُهُ لكي يكونَ تَلْمِيْحِيًّا وتَصْرِيْحِيًّا في الآنِ نَفْسِهِ. ولا نَكَادُ نَجِدُ جَوابًا مُسْكِتًا يَخْلُو من الاسْتِنادِ إلى ذلكَ إلَّا فِيْمَا نَدَرَ. فَهُوَ خطابٌ مُحَدَّدٌ (= جواب) يُوَجِّهُهُ شخصٌ مُحَدَّدٌ (= المُجِيْبُ) إلى شخصٍ مُحَدَّدٍ (= السَّائل) في سياقٍ تَوَاصُلِيٍّ مُحَدَّدٍ، لِتَحْقِيْقِ غايةٍ مُحَدَّدَةٍ (= الإفحامِ والإسكاتِ)، وكُلُّ ذلكَ عَنْ قَصْدٍ من السَّائلِ ومِنَ المُجِيْبِ؛ فالسائلُ يَتَوَهَّمُ أنَّ خطابَهُ سَيَكُوْنُ مُفْحِمًا، فالغايةُ عِنْدَ السائلِ والمُجِيْبِ واحدةٌ، غَيْرَ أنَّ الوسيلةَ التي يَسْتَعِيْنُ بها السائلُ قائمةٌ على الوَهْمِ أو التَّوَهُّمِ بِنَجَاعَتِها، في حِيْنِ أنَّا لمُجِيْبَ يَسْتَعِيْنُ بوسيلةٍ ناجِعَةٍ تَمَامًا، تَضْطَرُّ السائلَ إلى القَبُوْلِ بالهَزِيْمَةِ مِنْ دُوْنِ أنْ يُحاوِلَ التَّخْفِيْفَ مِنْهَا بَلْ يَتَقَبَّلُها و(يَصْمُتُ)؛ لأنَّهُ يَعْلَمُ إنَّهُ إنْ حاوَلَ الرَّدَّ؛ سَيُجابَهُ بِجَوابٍ آخَرَ أكْثَرَ إيلامًا مِنَ الأوَّلِ كَمَا وَضَّحْنا.

وقد امتزجت الأجوبة المسكتة بالسُّخْرِيَةِ التي كانتْ، في العَصْرِ العَبَّاسيّ، حَيْثُ نَمَا هذا الفَنُّ وَتَطَوَّرَ، جُزْءًا أساسيًّا من بنيةِ المجتمعِ العَبَّاسيّ، الذي دَفَعَتْهُ الظُّرُوْفُ الاقتصاديةُ والاجتماعيةُ والسياسيةُ على اختلافِ دوافعِ فِئَاتِهِ المُتَبَايِنَةِ إلى اللُّجُوْءِ إلى الفُكَاهَةِ والضَّحِكِ والسُّخْرِيَةِ كَوَسِيْلَةٍ يُجَابِه بِها ظُرُوْفَهُ الصَّعْبَةَ.

الإحالات:

[1] ينظر: عادل، د. عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1. منشورات ضفاف، بيروت، 2013، 133.

[2] الزمخشري، جار الله (ت538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تح: عبد الأمير مهنا. ط1. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. 1992، 78/2.

[3] ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن (ت562هـ)، التذكرة الحمدونية. تح: د. إحسان عباس، وبكر عباس. ط1. دار صادر. بيروت. 1997، 186/7-187.

[4] ينظر: عبد الرحمن، د. طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط2. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، 74-75.

[5] ابن حمدون، المصدر السابق، 229/7.

[6] ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد (ت322هـ)، الأجوبة المُسْكِتة. دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ط1/1996، 84.

[7] العاملي، بهاء الدين (ت1031هـ)، الكشكول، تح: محمد المعلم. المكتبة الحيدرية، قم. 2006-، 1547/3.

[8] ابن حمدون، المصدر السابق، 176/7.

[9] ابن أبي عون، المصدر السابق، 180.

[10] الزمخشري، المصدر السابق: 76/2، وابن عاصم، أبو بكر محمد (ت829هـ)، حدائق الأزاهر، تح: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014، 54.

[11] سورة غافر، 36.

[12] الزمخشري، المصدر السابق، 84/2.

[13] ابن أبي عون، المصدر السابق، 193.

[14] الزمخشري، المصدر السابق، 82/2.

[16] ابن أبي عون، المصدر السابق، 200.

[17] المصدر نفسه، 192.

[18] المصدر نفسه، 208.

[19] الزمخشري، المصدر السابق، 56/2.

[20] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت463ه)، بهجة المَجالس وأُنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس. تح: محمد مرسي الخولي. ط2، دار الكتب العلمية. بيروت. 1982، 105/1.

[21] ابن أبي عون، المصدر السابق، 181.

[22] مصطفى، عادل، المغالطات المنطقية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007، 149.

[23] التوحيدي، أبو حيان (ت400ه)، البصائر والذخائر. تح: د. وداد القاضي. ط1، دار صادر. بيروت. 1988، 132/1.

[24] الدهري، أمينة، الحجاج وبناء الخطاب، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011، 34.

[25] دفة، بلقاسم، استراتيجيات الخطاب الحجاجي، مجلة المَخْبَر، جامعة بسكرة. الجزائر، عدد 10، 2014، 494.

[26] المرجع نفسه، 500.

[27] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2004، 47.

[28] ينظر، صحراوي، د. مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت،2005، 44.

[29] الشهري، المرجع السابق، 60.

[30] يول، جورج، التداولية، ترجمة: د. قصي العتَّابي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، 100.

[31] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت328ه)، العقد الفريد. تح: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. 1956:54/1.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
2- ابن أبي عون، إبراهيم بن محمد (ت322هـ)، الأجوبة المُسْكِتة. دراسة وتحقيق: د. مي أحمد يوسف. ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. 1996.
3- ابن حمدون، أبو المعالي محمد بن الحسن (ت562هـ)، التذكرة الحمدونية. تح: د. إحسان عباس، وبكر عباس. ط1، دار صادر. بيروت. 1997.
4- ابن عاصم، أبو بكر محمد (ت829هـ)، حدائق الأزاهر، تح: عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014.
5- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت463هـ)، بهجة المَجالس وأُنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس. تح: محمد مرسي الخولي. ط2، دار الكتب العلمية. بيروت. 1982.
6- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت328هـ)، العقد الفريد. تح: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري. ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة.1956.
7- التوحيدي، أبو حيان (ت400هـ)، البصائر والذخائر. تح: د. وداد القاضي. ط1، دار صادر. بيروت. 1988.
8- دفة، بلقاسم، استراتيجيات الخطاب الحجاجي، مجلة المَخْبَر، جامعة بسكرة. الجزائر، عدد 10، 2014.
9- الدهري، أمينة، الحجاج وبناء الخطاب، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، 2011.
10- الزمخشري، جار الله (ت538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تح: عبد الأمير مهنا. ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. 1992.
11- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديدة، بيروت، 2004.
12- صحراوي، د. مسعود، التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.

13- عادل، د. عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، 2013.

14- العاملي، بهاء الدين (ت1031هـ)، الكشكول، تح: محمد المعلم، المكتبة الحيدرية، قم، 2006.

15- عبد الرحمن، د. طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

16- مصطفى، عادل، المغالطات المنطقية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2007.

17- يول، جورج، التداولية، ترجمة: د. قصي العتَّابي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.